تقنيات الزمن في قصص سورة الشعراء

م.د. تومان غازي حسين*

المقدمة:

الحمد لله الذي سقاني من عذبه، وآتاني نعمة النظر في كتابه الكريم، ببحث يسلط الضوء على تقنيات الزمن في قصص سورة الشعراء السبع ،التي وظفت في السورة الكريمة،فكانت تؤلف فقارا لها استقلالها النسبي الذي يتجاوز مستويات الجملة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مدخل بينتُ فيه الفرق بين الحكاية بوصفها مضمونا أو مدلولا للقصة، بوصفها الشكل أو الدال الذي يقدم فيه المنشئ الحكاية بما يُظهر تفرده وتميزه من سواه. وقد أدى هذا التمييز النظري إلى تمييز أساليب الزمن في قصص سورة الشعراء، فكانت على النحو الآتي:

١ـ ترتيب زمن الخطاب القصصي، ويشمل التقديم والتأخير الذي ينشأ من مفارقة بين زمن الحكاية المحاكي للواقع في تسلسله، وزمن القصة،عن طريق ما أصطلح عليه بالمفارقات الزمنية:(الاستباقات والاسترجاعات).

٢ـ المدة أو الديمومة: وهي المستوى الثاني لعلاقة زمن الحكاية بزمن القصة من حيث تفاوت الزمنين بنقصان زمن القصة عن زمن الحكاية نتيجة الحذف، أو تساويه نتيجة مسرحة الحدث، أو زيادته نتيجة لإضافة الوصف، فينتج عن ذلك إما تسريع السرد أو تساويه أو إبطائه.

أما منهج البحث المتبع فهو منهج الأسلوبية بوصفها علما لدراسة الأسلوب، وهي علم وصفي حديث يختلف اختلافا بيّنا عن علم البلاغة،الذي تحوّل في مراحله الأخيرة إلى علم معياري يعتمد على قوانين منطقية، من هنا تحاول الأسلوبية الأدبية بمقترباتها المختلفة:السيمائية والإحصائية والوصف والتحليل، أن تكون بديلا موضوعيا جديدا لعلم البلاغة أو امتدادا متطورا لها، ذلك بأن علم البلاغة لم يتطور ليشمل كلّ ما يتصل بمظاهر العدول البلاغي في النص، ومنها تقنيات القصة.

ولهذا يمكن توسيع دائرة البحث الأسلوبي بإرساء دعائم المناهج الحديثة وتطبيقها، للوصول إلى دراسة شاملة للنص القرآني تستوعب مباحث البلاغة وتتجاوزها إلى مكتشفات الألسنية الحديثة،خدمة لكتابنا العظيم،وهذا ما سعينا إليه جاهدين ـ بعون الله تعالى ـ،عسى أن نكون قد أسهمنا بمحاولة مثمرة في ميدانها. والله تعالى وليّ النعمة والتوفيق.

* مدرس دكتور في الكلية الاسلامية الجامعة / النجف الاشرف

مدخل:

يرتبط الأسلوب القصص بجملة من الخصائص التقنية الخاصة بالنمط السردي، التي تجعل من اللغة وسيطا، بمعنى أنها تثبت مفردات الدلالة وتبني هيكل المعنى الكلي للنص وتنظم عمليات التصوير والترميز من دون أن تأخذ صفة الريادة والهيمنة، وإلا أصبحت القصة غنائية[١].

وإذا كان المفهوم العام للقصة يعني أنها أحداث مرتبة في زمان متتابع، فإن هذا الأمر يصبح غير مهم إزاء طريقة الراوي في إطلاعنا عليه، وإذا كانت القصص تتشابه في رواية القصة الأساسية(ماهيتها)، فإنها تختلف في مستوى السرد، ونقل القصة، وهنا يدخل التعبير والتأليف والأسلوب.

لذلك يميز علماء السرديات الأحداث المروية من الخطاب الذي يرويها تحت صياغات ثنائية مختلفة قليلا منها:(حكاية/ موضوع، وقصة/ خطاب، وأحداث/ نص،وحكاية/ خطاب)، وصياغة ثلاثية:(حكاية/قصة/ سرد) عند جنيت[٢] Gentte، التي يمكن إيضاحها بما يأتي:

الحكاية Histore: وهي جملة الأحداث التي تدور في نطاق زماني ومكاني ما، وتتصل بشخصيات من نسيج الخيال تنتج لديها ردود فعل وتصرفات، تعدّ على نطاق الدراسة مادة للتحليل الوظيفي للقصة، ويطلق عليها المضمون السردي أو المدلول[٣]. وتتكون من المواد قبل الأدبية، فهي منطوق يفترض متكلما ومستمعا.

القصة Reait: أو الخطاب القصصي أو النص، وتمثل العناصر اللغوية التي يستعملها السارد، وهي مستوى الخطاب السردي الوحيد الذي يعرض نفسه مباشرة للتحليل النصي، ويمثل الدال الذي تظهر فيه صفة التفرد الذاتي، أي فعل المؤلف[٤]، وما يتضمنه من التغييرات في سياق الزمن من تقديم وتأخير وحذف، وتقديم ما في وعي الشخصيات وعلاقة السارد بالحكاية والجمهور.

السرد Narration: ويطلق على الفعل السردي(المنتج)، الذي يقوم به السارد أو الراوي، وينتج عنه النص القصصي المشتمل على اللفظ(الخطاب) القصصي، والحكاية أي(الملفوظ) القصصي[٥]، ويتسع للوضع الحقيقي والتخيلي.

إن العلاقة بين الخطاب القصصي والحكاية علاقة شكل ومضمون، من غير فصل بينهما؛ لأنهما يمثلان وجهي عملة واحدة، فالخطاب القصصي لا يوجد إلا إذا كان يروي حكاية، وأن الحكاية لا توجد بالفعل إلا بوساطة السرد القصصي، والأسلوب السردي يتجلى في أعلى مظاهره في الانزياح عن درجة الصفر الروائية التي يكون فيها الراوي مؤرخا موضوعيا يجمع الأحداث ويرويها من دون أن يزج نفسه فيها تاركا للدلالة تنبثق بطريقة عفوية[٦].

ولما كانت القصص الواردة في سورة الشعراء موظفة لتأكيد فكرة رئيسة واحدة،هي تسلية النبي ﷺ

، لذا جاءت بأساليب مميزة تهيّؤها لأداء تلك الوظيفة الخاصة، فهي لم ترد في السورة الكريمة مستقلة مثل قصة يوسف عليه السلام .

ولعل أظهر السمات الأسلوبية التي تميز قصص سورة الشعراء هي: أساليب الزمن الداخلي فيها، وسندرسهما في مبحثين مستقلين، لتسليط الضوء على البنى الأسلوبية في هذه القصص؛لأنهما ملمحان جوهريان فيها، فضلا عن أنهما يتضمنان التطرق إلى ملامح أسلوبية أخر منها: الشخصية، والصراع،وأنواع السرد القصصي، والوصف وغيرهما،وتبيان أثر تلك الأساليب في المتلقي من تشويق وتأمل وتخييل.

لذا يعدّ عنصر الزمن الداخلي من عناصر الشكل الحاسمة في بناء القصة، وهنا يمكن أن نميز الزمن في الأحداث التاريخية، من الزمن القصصي، الذي يعد جزءا من بنية القصة، وإن كانت أحداثها مستمدة من التاريخ،لكن الراوي الأول(المبدع)، يساوي بين السامعين وأبطاله، فهو وإن روى الحوادث بالتسلسل الزمني الذي جرت فيه،بيد أن الزمن الذي تستغرقه القصة يبدو كأنه اختصار للوقت الذي استغرقته المغامرة[٧]، فينتج لدينا جنسا أدبيا يسمى القصة التاريخية أو رواية السيرة الذاتية. وكتلاهما فن قصصي مختلف عن مادته التاريخية الأولية،ذلك أن عنصر الزمن هو الذي يميز الفن من التاريخ، وذلك أن الحكي التاريخي يعيد سلسلة من أحداث تتعاقب في زمن متقطع مفتوح لا نهائي، في حين يتسم الزمن في القصة بالتكامل والنضج والاختتام، الذي تدين له القصة بحصولها منه على صياغة تصويرية معينة، فهو يمثل كلية تظل وتبقى بالقياس إلى ما يمر ويجري في الأحداث التاريخية[٨].

ويخضع زمن القصة إلى ترتيبات الزمن المتسلسل،منها ما يخضع إلى مبدأ السببية Chronology ، ومنها ما لا يخضع لذلك ،فيخرج من السرد الاعتيادي لأغراض فنية.

وانطلاقا من زمن القصة المزدوج :(زمن الملفوظ القصصي)، أو المدلول، أي الحكاية نفسها، من جهة ،وزمن الخطاب من جهة أخرى، أي ترتيب السارد للأحداث في النص القصصي،أو الدالا، يمكن ملاحظة ثلاثة أضرب من تحليل الهيكل الزمني للنص القصصي هي[٩]:

١ـ العلاقات بين النظام الزمني لتتابع الأحداث في الحكاية والنظام الزمني لترتيبها في النص.

٢ـ العلاقات بين الديمومة(المدة) النسبية للأحداث في الحكاية، وديمومة النص(أي طوله) أو مدة قراءته، وهذه العلاقات ترتبط بمفهوم النسق.

٣ ـ علاقات التواتر Frequence أو العلاقات بين طاقات التكرار في الحكاية وطاقة التكرار في النص.

وسنقتصر على دراسة العلاقتين الأولى والثانية لعدم وجود علاقة التواتر في القصص المدروسة في سورة الشعراء نفسها.التي هي قصص أخذت مادتها الأولية من التاريخ وتضمنت صراع الأنبياء عليهم السلام مع مكذبيهم، وقد حدث فيها تحويل في عرض الوقائع التاريخية أدى إلى إنتاج خطاب يخاطب وجدان القارئ،

ويبين الدلالات ويؤيد الأغراض، ويثير كوامن النفس من دون العناية بالمنطق الذي يوجب مطابقة الواقع ونشدان الحقيقة المنطقية[١٠]. وفي هذا الشأن يميز (تودروف)(**T. Todorov**) الواقعية من الحقيقة التي تعني المنطق الصوري، فهي بالنسبة إلى علماء المنطق علاقة التوافق الفردي للجملة والمرجع الذي تصرّح فيه بشيء ما.أما الجمل التي يتكون منها الخطاب ،فإنها لا تحيل إلى مرجع بالمعنى اللساني أو المنطقي، أي ليس لها علاقة مباشرة بمجموع الكائنات أو الأشياء التي تنطبق عليها الإشارات اللغوية.فالخطاب الأدبي يكون له مرجعه الخاص به يستمده من وجوده نفسه ومن الدلالات التي تستوحى من علاقات عناصره، لذلك يقاس مستوى الخطاب الأدبي بمستوى قدرته على إظهار فكرة مرجعه الداخلي في تطور هذا المرجع وفي تقدم صيرورته[١١].

وهذا يدل على أن المادة الخام للقصة ـ ولاسيما التاريخية منها ـ قد خضعت لعملية تحويل أسلوبي بالحذف والإضافة، والتقديم والتأخير وغيرها من أساليب حتى تلائم قصدية النص القرآني الإبداعية والابلاغية لتضع المخاطب بإزاء تجربة تخيلية تكون أكثر واقعية من الأشياء التي تمثلها، ذلك أن العمل التخيلي يؤلف عالما كاملا معروضا أمامنا يكثف الواقع ويجمع ملامحه الجوهرية في بنية مركزية، تقوم باشتراع عالم مستعار، يستطيع أن يتقاطع مع عالم القارئ ويحوله[١٢]، أمّا الطباق الزمني فإنه يقودنا إلى ملاحظات مدهشة تظهر في استحالة العودة إلى كل ما هو داخلي من ماضي الشخصيات والذاكرة، ويتحول الأشخاص إلى أشياء، ولا نعود نراهم إلا من الخارج،وقد يتعذر حملهم على الكلام[١٣].

فالقصة بوصفها فنا، تخاطب خيال المتلقي لإظهار ما يحاورنا به، لذا يصبح هذا المتخيل ((أسمى حقل للحوادث الحسية، أو أسمى بيئة تبحث فيها الطريقة التي تظهر لنا فيها الحقيقة، أو التي يمكن أن تظهر لنا فيها))[١٤].

ويبدأ الفن القصصي من أي شرح زمني يتضمن ماضي الشخصيات،ومعرفة ما يعرفه لآخرون أو يجعلونه في وقت معين،لذا ينبغي الاحتفاظ بالمفاجآت والاعترافات والكشف عن الأسرار،التي تظهر في تطور القصة مهما كان مبنيا على الحقائق التاريخية والسير وغيرها[١٥].

ويمكن رصد التحولات الأسلوبية في البنية القصصية لقصص سورة الشعراء فيما يأتي:

١ـ زمن الخطاب القصصي(الترتيب):

القصة مقطوعة زمنية مرتين:لأن أحداث المدلول أو الحكاية،محكومة بالتتابع الزمني،فضلا عن زمن السرد القصصي(الدال).فعشر سنوات من حياة الشخصية المركزية يمكن أن تلخص بجملة واحدة[١٦]، ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾(الشعراء:١٨).ومن إحدى وظائف السرد القصصي هو إدخال زمن في زمن آخر، فتجتمع سلاسل زمنية عديدة تسير متوازية تزيد من عدد

الأصوات، ونحن نتقبل من السرد القصصي المتخيل، بوصفه مكونا أساسيا من مكونات الشكل، الذي يقوم بتقليص الزمن الخارجي أو تمديده في الزمن الداخلي؛ليصبح ملمحا فنيا للسرد القصصي يمثل الرؤية الجمالية للتعبير المسرود(١٧).

وقد خرجت القصص القرآنية ومنها ما ورد في سورة الشعراء عن نقل القصص التاريخية على وفق تسلسلها الزمني الخاضع لمبدأ السببية،بما يسبق الرواية العربية الحديثة بقرون(١٨)، لأداء أغراض دلالية/جمالية تنشأ من ترتيب الحوادث في سياق المبنى الحكائي/الخطاب،التي لا تخرج عما سمي بـ(المفارقات الزمنية)، وهي على نوعين:الاسترجاعات والاستباقات(١٩).

وعلى وفق ما تقدم يمكن دراسة عنصر الزمن في الخطاب بتحديد المفارقات الزمنية، وهذا يتطلب تحديد نقطة السرد الحالية في السورة الكريمة التي تظهر في مقدمة السورة في الآيات (١-٩):﴿ طسم *تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ *لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ *إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ *وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ *فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ *أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ *إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ *وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. ولاسيما في الآية الثالثة.إذ تمثلت في مطالبة النبي ﷺ بعدم إهلاك نفسه أسفا على الذين لا يؤمنون. وأشارت مقدمة السورة ـ أيضا ـ إلى أن السماء بمقدورها أن تنزل آية اعجازية، وأن الكفار كانوا يعرضون عن الذكر، وأشارت أيضا إلى مجازاة الكفار. وهذه الدلالات التي تتضمنها المقدمة تختم بها السورة الكريمة لتجانس الخاتمة فنيا مع المقدمة والوسط القصصي الذي تكفل بإنارة الدلالة المذكورة.

وقد ظهر في هذه المقدمة التي تدرج قصة النبي محمد ﷺ عنصر استباق يتنبأ بمصير المكذبين، وذلك في قوله تعالى:﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾(الشعراء:٦)، وهذا ثير عنصر التشويق عند المتلقي لمعرفة مصير القوم بالاطلاع على أنبائهم المخزية، فضلا عن أنه يمثل عنصر بناء قصصي مهم سيتبين لاحقا.

وتمثل الآية من قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾(الشعراء:٧)، عنصر استرجاع زمني،واستنكار عدم رؤيتهم تمثل اللحظة الحالية للسرد، ولكن الاستنكار جاء متعلقا بحدث سابق لزمن النص، وفي هذه الآية يتداخل زمانان الحاضر والماضي.

ويتضمن الاسترجاع في كلتا الآيتين عناصر ذاتية، وذلك لورودها في سياق التهديد والتوبيخ، وعناصر موضوعية، إذ أراد الله تعالى في توبيخهم فائدة العودة بالقارئ إلى الوراء لإعطاء معلومات إضافية عن تاريخ نطاق مكاني(إنبات كلّ زوج بهيج)، أو تصوير ماضي شخصية الكافرين بأنهم لم يستعملوا عقولهم بالاستنتاج والتأمل، وقد تضمن عنصر الاسترجاع الاستباق كلاهما إعلام المتلقي سابقا بمآل السرد حتى يولد تشويقا في نفسه لمعرفة الأحداث التي ستؤول إليها[٢٠].

ويظهر عنصر الاسترجاع الزمني، أو السابقة الزمنية للسرد في الظرف(إذ) في قصة موسى عليه السلام،في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(الشعراء:١٠)،متداخلا في لحظة السرد الحالية الظاهرة في خطاب الرسول محمد ﷺ في كلمة(ربك)،وفي عامل الظرف(إذ) المحذوف،وتقديره(أتلُ)الذي يمثل أيضا لحظة السرد الحالية،لأنه أمر للرسول ﷺ أن يتلو على قومه هذه القصة الماضية الدال على مضيها الظرف(إذ) الذي كثيرا ما يأتي في القرآن الكريم للشروع في سرد قصة،وهي هنا قصة موسى عليه السلام بالآيات(١٠-٦٨) التي يمكن عدّها أول الأنباء التي أجملت في آية التهديد(الآية:٦)، بدلالة ورود لفظة(نبأ) في بداية قصة إبراهيم عليه السلام ،وظهور عامل الظرف(إذ)، وهو (أتلُ) في قوله تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾(الشعراء:٦٩). إذ رسمت هذه السلسلة من القصص بعد مقدمة السورة الكريمة أحداثا ومواقف مشابهة لأحداث رسالة النبي محمد ﷺ ،التي يكونها الجاهلون، ثم استعجالهم العذاب،فضلا عن اتهامهم الرسالة المحمدية وغيرها بأنها من وحي الشياطين، كل ذلك نلحظ أمثالها في قصص السابقين التي عرضتها السورة الكريمة لنا، وذلك يفصح عن الإحكام الهندسي في عمارة النص القرآني المذكور[٢١].

وفي هذا السياق نجد قصة موسى عليه السلام تمثل استرجاعا لزمن السرد الحاضر باستدعائها الماضي في جميع مراحله وتوظيفه في الحاضر ليصبح جزءا لا يتجزأ من نسيجه[٢٢]. ووظيفة هذا الاسترجاع مهمة جدا لأنها تعزز القيمة الدلالية الخاصة بعناصر حكاية الرسول محمد ﷺ، وتحفز الذهن للقيام بموازنة بين وضعين كأن يوازن بين الوضع الحالي للنبي ﷺ ووضعه في بداية الحكاية سواء كان ذلك لإظهار تشابه الوضعين أو اختلافهما[٢٣].

إذ نجد وضع شخصية الرسول محمد ﷺ قبل هذه الاسترجاعات هو وضع صعب(باخع نفسك) على إيمان قومه الساخرين راجيا إصلاحهم، في حين أدت استرجاعات القصص الماضية لسبعة أنبياء إلى تغيير من وضعه الحالي، ذلك أن الاسترجاعات قررت بأن قومه لا يؤمنون أبدا، وعليه تجاوز مرحلة

الإشفاق عليهم إلى مرحلة التربص بهم، وتهديدهم لأنه ليس ضعيفا وأنه منتصر لا محالة. وهذا ما أقرته الآيات نهاية السورة وهي تكملة لقصة النبي ﷺ في قوله تعالى:

الآية الكريمة	رقمها
﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾	٢٠٠-٢٠١
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٢١٤-٢١٦
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾	٢٢٧

وهذه التحولات في شخصية الرسول محمد ﷺ كلها مستقاة من استرجاعات القصص السابقة على الجزء الثاني من قصة محمد ﷺ وقد أضافت معرفة كبيرة لشخصية النبي ﷺ بما ستؤول إليه الأحداث بينه وبين قومه بالموازنة مع وضع الأنبياء السابقين، وهو وضع مشابه لوضعه مع وجود الاختلافات في البيئة والزمان والمكان.

وتفيد هذه الاسترجاعات أيضا بالتذكير بأحداث سابقة تفيدنا في تأويلها تأويلا جديدا، بحسب معطيات جديدة متأتية من الأحداث الواردة بعدها[٢٤]، إذ نشعر أن تتابع الأحداث الماضية واطراد نتائجها كأننا بإزاء قانون لا يحيد يعرض لنا استقراءات ظاهرة النبوة وقلة من يؤمن بها، وانتصار هذا القليل على الكثير نصرا حاسما يمكننا معه أن نتنبأ بالمستقبل مع ما يحصل للرسول محمد ﷺ في زمن الخطاب.

وهكذا نلاحظ أن وظيفة القصص المسترجعة تتجسد في بناء القصة الأولى، أي قصة محمد ﷺ ، التي يطالب فيها قومه بآيات لتصديق دعوى نبوته لذلك تختم تلك القصص بقوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، وهذه الخاصة الاسترجاعية تسمى بـ(الاسترجاع الداخلي) أو(الحكي الثاني) والقصة الغيرية .

وعلى هذا النحو تعدّ القصص الأخر المذكورة في سورة الشعراء استرجاعات وهي: قصة إبراهيم(٦٨-١٠٤)، وقصة نوح(١٠٥-١٢٢)، وقصة هود(١٢٣-١٤٠)، وقصة صالح(١٤١-١٥٩)، وقصة شعيب(١٧٦-١٩١). وكلها تختم بتذييل واحد:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.للتذكير بالاسترجاعات وربطها بمحور واحد هو قصة النبي محمد ﷺ ، كيلا ينسى المتلقي نفسه حين ينسجم مع

القصة الموظفة ويتوقف عندها من غير أن يربطها في سياقها الأول.

أمّا أسلوب استعمال الزمن في قصة موسى عليه السلام فيمكن ضبط تغييرات نسق النص القصصي الذي يتطلب تلخيص زمنيته الداخلية وتبيان المقاطع النصية الكبرى التي تكونه ،وهذا يعني أن دراسة نسق النص القصصي لا تكون ذات دلالة إلا إذا لوحظت فاعليتها على مستوى النص كله.

ولعل أول مشكلة تظهر للباحث هي كيفية تقسيم النص القصصي لتحديد مقاطعه، ويمكن حلّ هذه المشكلة في استعمال المقياس الفاصل الذي اقترحه غريماس (**A. J.Greimas**)إذ قسم النص القصصي بحسب النقط التي يرد فيها انفصال أو اتصال زماني أو مكاني متصل بالفاعلين Act oriel على النحو الآتي[٢٥]:

ـ انفصال أو اتصال زمني:إذا كانت الحكاية ملفوظة في الحاضر فاستعمال صيغة يورد مقطعا نصيا جديدا يؤدي إلى إدراج استرجاع، في حين يشير استعمال المستقبل إلى عنصر الاستباق.

ـ انفصال أو اتصال مكاني:للهيكل المكاني للنص قيمة مهمة، إذ يورد كل إبدال للإطار المكاني مقطعا نصيا جديدا.

ـ انفصال أو اتصال على مستوى الفاعلين: إذ يحدث ظهور أو غياب فاعل ظهور مقطع نصي جديد.

ـ ورود نمط خطابي جديد يعد مقياسا موضوعيا دقيقا يربط مقاطع النص بتحويله من نمط خطابي إلى نمط آخر كالمرور من مقطع قصصي إلى حوار ،أو(مشهد).

وعلى وفق هذه الملاحظات يمكن ملاحظة الانفصال الزماني لقصة موسى عليه السلام ،إذ يحصل انتقال في القص من صيغة الفعل الماضي إلى صيغة الفعل الأمر(الحالية) في الآية الأولى للقصة في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾الشعراء:١٠)، فالفعل(نادى) ماضٍ و(أئتِ) فعل أمر زمانه الآن، وهنا يبدأ الشروع في توفير معلومات عن الإطار الذي ستدور فيه الأحداث قبل الشروع في سرد ما يحصل للشخصيات[٢٦]. وفي هذه المعلومات يتبين نوع الصراع وشخصياته وقد ورد عنصر استباق في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾(الشعراء:١٢). وكذلك في:﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾(الشعراء:١٤).إذ إن أداة النصب ((الداخلة على المضارع تخلصه للاستقبال، فلا تدخل على غيره كالسين وسوف))[٢٧].

ولما كانت أفعال الأمر(أن ائتِ، كلا فاذهبا، فأتيا فرعون) تشير إلى انجاز أفعال ليست في الحاضر، أو أن فعل الكلام يتضمن انفصالا زمانيا ومكانيا يقع في المستقبل في مكان آخر غير مكان المناجاة، فضلا عن ظهور انفصال على مستوى الفاعلين، وذلك بتوقف المقول الإلهي في الحوار ثم يدخل بغتة مقول

فرعون، وقد اقتصر الفعل الإلهي على استماع حسب لإيهام المتلقي أن ما يجري بين يديه من صراع يحاكي ما هو مألوف في الطبيعة. فمستمعون تعني سنستمع عند قيام الحدث ،علما أن فعل الله تعالى خارج عن مقاييس الزمن، لكن سبحانه وتعالى يخاطبنا على وفق مدركاتنا المحدودة بمقاييس الزمن وتوسط اللغة بيننا وبين العالم.

إننا نحس غياب أحد الفاعلين في المشهد الذي نراه، وظهور فاعلين أحدهم: فرعون وقومه، وهذا الجزء من القصة يؤلف استباقا للعناصر الزمانية والمكانية والشخصيات التي ستظهر في القسم الثاني من القصة ابتداء من قوله تعالى على لسان فرعون:﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾(الشعراء:١٨).

المهم هو أن وظيفة هذا المقطع من السورة تقديم استباق زماني،وذلك بتمهيده للصراع الذي سيحدث مستقبلا، أي أن هناك إجمالا سيفصل لاحقا في إعادة الموقف أو الحادثة التي ستفصّل،وهذا يوفر مساحة للتوقع والتخيل.

وقد جاء المقطع الثاني من القصة على هيأة حوار بين فرعون وموسى عليه السلام متضمنا عناصر استرجاعية تعود إلى أحداث الماضي تظهر في قوله تعالى:﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ *قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ* فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(الشعراء:١٩-٢١).

وذلك يظهر جليا في استعمال الأفعال الماضية:(ألم نربك، ولبثت، وفعلت، وفعلتها، فررت منكم، ووهب) ، ليعود السرد إلى اللحظة المشهدية الراهنة في سؤال فرعون لموسى عليه السلام في قوله تعالى:﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(الشعراء:٢٣)، ويستمر هذا الخطاب حتى الآية(٣٥) في قوله تعالى:﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، ليأتي عنصر استباق آخر في رد ملأ فرعون على استشارته إياهم، وذلك في قوله تعالى:﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾(الشعراء:٣٦-٣٧). ليبدأ مقطع آخر يؤدي وظيفة تقديم شخصيات أخر ، إذ يحصل انفصال على مستوى الزمان(يوم معلوم)،وعلى مستوى الفاعلين بظهور شخصية السحرة، ويمثل هذا الانفصال عناصر استباقية تمهد لحبكة ثانوية هي(المباراة) بين السحرة وموسى عليه السلام . وتختزل لحظة القص الحالية بصيغة المبني

للمفعول(فجمع) في قوله تعالى:﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾(الشعراء:٣٨). ثم يحصل مشهد حواري بين السحرة وفرعون وأعوانه في الآيات

(٣٩-٤٠) تنتهي إلى حدث مهم في الآية(٤٣) في قوله تعالى:﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾، التي ينتصر فيها موسى عليه السلام .

ثم يأتي قسم آخر من السورة الكريمة يحدث فيها انفصال واتصال زماني ومكاني وانفصال واتصال على مستوى الفاعلين، وذلك في قوله تعالى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾(الشعراء٥٢).إذ تختفي شخصيات السحرة وتظهر شخصية قوم موسى(عبادي)، والمكان هو رحيل ومطاردة(تنقل). وفي ذلك يظهر حدثان يجريان في وقت واحد في بنيتين زمنيتين متوازيتين:

١ـ بنية أولى(الله تعالى ←موسى)

٢ـ بنية ثانية:(موسى قومه ←فرعون وجيشه)

وقد عبّر عن جريان الحادثين معا باستعمال العطف بالفاء التي تستعمل للترتيب من غير مهلة(أوحينا فأرسل).ويرجع الترتيب في سياق المبنى الحكائي/ الخطاب إلى لوازم التعبير اللغوي بنقل ما هو واقعي إلى ما هو لساني، فحادثتان متزامنتان لا يمكن سردهما إلا واحدة تلو الأخرى، ذلك أن اللغة تعتمد على ما أسماه سوسير(**F. de Saussure**) بـ(الدال السمعي) الذي يختلف عن الدال البصري الذي يوفر إمكانية تلقي دوالا عدة في وقت واحد، كما في تلقي إشارات الملاحة. في حين أن الدال السمعي له بعد واحد فقط هو البعد الزمني.[٢٨]

أمّا عناصر الاستباق فتظهر في هذا القسم قائمة على الدليل القرآني والسياق والتعبير الخاص المقصود به البنية والتوجيه الذي يعتمد على قوة الصورة وحدتها، وقد ظهر مقطع وصفي بين هذا الانفصال الجديد والحدث الرئيس المستقبلي الحاسم(المواجهة القتالية).ويبدأ في قوله تعالى:﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾(الشعراء:٥٤-٦٠) في ست آيات، لتنتهي القصة بحدث إقصاء أحد طرفي الصراع،بإغراق فرعون وقومه في مكان محدد(البحر) الذي هو نفسه أصبح مكان نجاة.

وهكذا نلاحظ أن تقنية الترتيب الزمني في قصة موسى عليه السلام قد استثمرت استثمارا فنيا باستعمال تقنية الاسترجاع والاستباق معا، وقد استعمل الاسترجاع بداية القصة ليزودنا بمعلومات عن الشخصيات

المحورية وماضيها ، ثم استمرت الاستباقات بالتناوب في وسط القصة حتى نهايتها، وبهذا يحصل عدول كبير من مستوى الحدث التاريخي في الترتيب الزماني، لتصبح القصة القرآنية ملائمة لزجنا في موقف متلوّن بالمشاعر ومؤثر تأثيرا كبيرا بسبب استثمار تقنية تراجع الزمن إلى الوراء وتطلعه إلى المستقبل بنظام يمكن تصويره في المخطط الآتي:

ويرينا هذا المخطط أن تقنية المفارقات الزمنية قد اتخذت شكلا إيقاعيا يظهر بقوة في بداية القصة ؛لأنه بني على عنصر التضاد(مستقبل/ ماض)، ثم اطراد الإيقاع متنقلا بين(الحاضر/ المستقبل) بعد مرحلة التضاد، ليخلق زمنا داخليا تخييليا ذا اثر فاعل،ذلك أنه يمثل تنويعا في تعاقب الأساليب المختلفة وهو يمثل ضربا من ضروب الالتفات، كما مر بنا في الفصل الثاني.

أما المفارقات الزمنية في قصة إبراهيم عليه السلام فتبدأ بحوار يمثل لحظة القص الحالية في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾(الشعراء:٧٠-٧١).وفيها تقدم الشخصيات إبراهيم عليه السلام مقابل عبدة الأصنام يجمعهم زمان واحد هو زمن الحوار الحالي ومكان واحد، والأسلوب هو الحوار. وهذا يمثل القسم الأول للقصة، أمّا القسم الآخر فيظهر في تبدل نمط الخطاب إذ يتحول الحوار الثنائي إلى وصف ذاتي ابتداء من قوله تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾(الشعراء:٧٨-٨٢).في خمس آيات تستعمل الفعل المضارع(يهدي، يطعم، ويسقي،..إلى غير ذلك)، ثم يأتي مقطع ثالث يتبدل فيه نمط الوصف إلى المونولوج الذي يظهر بالدعاء في الآيات(٨٣-٨٩):﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ *وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ *وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ *وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ *وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ *يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ *إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ .

وهذه الأقسام كلها تمثل اللحظة الحالية للقص، وقد وردت في أسلوب الدعاء إشارات خفية تمهّد للأحداث الآتية في القصة، وتمثل إشارات استباقية في الزمن إشارة إلى استحضار مشاهد يوم القيامة وهي غير منفصلة عن الدعاء. ثم يأتي المقطع الأخير بعد هذه الاستباقات وكأنه استجابة للدعاء، لعدم قطع الحاضر السردي(الدعاء) ،بل يفهم إيحاء. ويُسمّى هذا الضرب من الاستباق بالاستباق الداخلي،لأنه يتصل بالحكاية الأولى[٢٩]، وقد فصّلت الأحداث اللاحقة بأفعال ماضية تدل على الاستقبال في قوله تعالى:﴿

وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾(الشعراء:٩٠-٩٢).

أمّا قصص الأنبياء الأخر، فقد ظهرت فيها استباقات عبّر عنها الفعل الماضي(كذبت) في قوله تعالى:

الآية الكريمة	رقمها
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٠٥-١٠٦
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٢٣-١٢٤
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٤١-١٤٢
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٦٠-١٦١
﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٧٦-١٧٧

وقد أدت هذه الاستباقات في القصص المختلفة وظيفتين هما: الاسترجاع بالنسبة إلى زمن القصة الحاضر في قصة النبي محمد ﷺ في استدعائها الماضي في جميع مراحله وتوظيفه في الحاضر(٣٠)، فهي سيقت لتسلية الرسول ﷺ بأنه ليس أول نبيّ كذبه قومه، فضلا عن أنها تمثل استباقات بالنسبة إلى زمن الخطاب السردي اللاحق في حوار الأنبياء مع أقوامهم.

ذلك أن تكذيب الأنبياء زمانيا يعدّ لاحقا لزمن الحكي في دعوة الرسل لأقوامهم بتشخيص الانحرافات الأخلاقية والدعوة إلى الإصلاح والإرشاد، وذلك يستغرق ثلاث آيات تكررت نفسها في بداية كلّ قصة من هذه القصص باختلاف اسم النبي وقومه.وهي في قصة نوح تعالى:﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الشعراء:١٠٦-١٠٩).

ثم يأتي رد الأقوام المكذبين لدعوة الأنبياء الإصلاحية في الآيات(١١١، ١٣٦، ١٥٧، ١٦٧، ١٨٥) ،معبرة عن حدث التكذيب والأحداث التي ترتبت عليه. وبهذا يقدم عنصر الاستباق أسلوبا تعبيريا خاصا يؤلف بنية تعتمد على قوة الصورة وحدتها، ذلك أن تكذيب النبي يمثل ذروة الصراع،فضلا عن وظيفة تشويق القارئ بتقديمه مفردات عامة الدلالة(كذبت)، التي يذهب فيها الذهن مذاهب شتى، ويتشوق إلى معرفة خصوصيات التكذيب وما سيؤديه من أحداث، ثم يأتي الفعل لاحقا يما يخيّب ظن المتلقي من أن مصاديق التكذيب وكيفياته التافهة تدل على رعونة غير مسوغة لتحقيق الدهشة الناتجة من إخفاء الأسرار ثم كشفها باستعمال تقنية الاستباق[٣١].

٢ـ المدة أو الديمومة:

الديمومة هي المستوى الثاني الذي يمكن فيه رصد علاقة زمن الحكاية بزمن الخطاب، لا من حيث تقديم الزمن وتأخيره للحظة الراهنة للقص، بل من حيث التفاوت في الزمنين الذي ينتج من حركات الزمن السردية نتيجة الحذف والوقفات الوصفية والإجمال والمشهد الحواري وغيرها[٣٢]،وذلك ما يحدث في السرد فيشعر القارئ بالتفاوت الزمني بين الزمنين يؤدي أغراضا دلالية تصور انفعالات الشخصيات في المواقف المختلفة فتكون نابضة بالحياة[٣٣]، فضلا عن تكثيف القصة لتكون مهيأة لأداء وظيفة أخرى خارج أدائها في السور القرآنية، بحسب ورودها مثلا في سورة الشعراء، إذ سيقت القصص السبع فيها لتأكيد فكرة معينة، وهي تمثل استرجاعات لقصة النبي محمد ﷺ .

ويفيد تحليل ديمومة القصص ضبط العلاقة التي تربط بين زمن الحكاية الذي يقاس بالساعات والأيام والسنين،وطول النص القصصي الذي يقاس بالجمل،والأسطر والصفحات[٣٤].

وتقود دراسة هذه العلاقات إلى استقصاء سرعة السرد، ورصد التغييرات التي تطرأ على نسقه من تعجيل وإبطاء ومساواة. ولتبيان علاقة زمن السرد بزمن الحكاية سنرمز لهما بـ(زق، زح)[٣٥]،على الترتيب،إذ يمكن نظريا تمييز عدة أنساق متولدة من هذه العلاقة تؤدي الوظائف الآتية:

أولا ـ تسريع السرد:

عندما يمكن الكلام على عمل أدبي، ينبغي لنا ملاحظة ثلاثة أزمنة في الأقل: زمن الحكاية(المغامرة)، وزمن الكتابة، وزمن القراءة.وكثيرا ما يتفق زمن الكتابة على أن وضع فقرتين واحدة جنب الأخرى، تصفان حادثتين بعيدتين في الزمن، يظهر كأنه الشكل الأكثر سرعة في القصة[٣٦].وتكون فيه نسبة (زق < زح). وقد يحدث حين يوجز جزء من حياة الشخصية من دون تفصيل للأفعال والأقوال فيما يمسى بالمجمل أو الملخص[٣٧]، أو بسبب الحذف، وهو اغفال أحداث لابد من أن تكون قد وقعت لكنها لا تذكر في النص[٣٨].

ويظهر الإجمال والحذف في قصص سورة الشعراء في مواطن كثيرة منها أن بداية قصة موسى عليه السلام التي كانت تمثل مجملا في قوله تعالى:﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾(الشعراء:١٦-١٨)، أي أتيا فرعون وقالا له": إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل، فقال: ألم نربك... وهذه تحتاج إلى مدة زمنية فاصلة بين زمن التكليف أو مكانه في شبه جزيرة سيناء، وذلك يتطلب من موسى عليه السلام أن يذهب إلى مصر ويحدّث أخاه هارون ثم الذهاب إلى فرعون، وهذه الأحداث طويت في آيتين، وقد فسر بعض المفسرين زمن الحدث التاريخي بأنه استغرق سنة، قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ):((ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة، حتى قال البواب:إن هنا أنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين،فقال:ائذن له لعلنا نضحك منه، فأديا إليه الرسالة فعرف موسى،فقال له:(ألم نربك)...))[٣٩].

وكذلك ورد الحذف في قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى:﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾(الشعراء:٣٦-٣٧) ،ثم قال:﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾(الشعراء:٣٨).

فعملية البعث في المدائن لجمع السحرة اختزلت بصيغة(جُمع)المبنية للمجهول لغرض تسريع الأحداث وإسباغ عنصر إيقاع درامي يقترب هنا من ذروته في المباراة الحاسمة، واليوم المعلوم هو يوم الزينة في قوله تعالى:﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾(طه:٥٩). والميقات ما وقت به، أي ما حدد من الزمان أو مكان.

ويظهر طيّ الزمن في الفجوة الحاصلة بين المباراة والإسراء ببني إسرائيل، وقد قدرت هذه المسافة الزمنية بسنين استقر فيها موسى عليه السلام في مصر بعد انتصاره ينشر دعوته بين الناس، ويقيم عليهم الحجة، حتى ابتلى الله أهل مصر بالقحط والجدب سنين[٤٠]. وهذا ما أشارت إليه سورة الأعراف في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ . . .حتى قوله تعالى: وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾(الأعراف:١٣٠-١٣٥).

وكذلك حذفت من قصة موسى عليه السلام الجزء الخاص بميلاده وطفولته وعلاقته بفرعون المذكورة في

سورة القصص في الآيات(٧-١٣)، فاختزلت في سورة الشعراء في قوله تعالى:﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾(الشعراء:١٨) ، وقد توسعت سورة القصص في ذكر حادثة قتل الفرعوني بعد بلوغ موسى عليه السلام أشده في الآيات(١٤-١٩)، وقد اختزلت في سورة الشعراء في جملة:﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾(الشعراء:١٩). وذكرت سورة القصص أيضا حادثة فرار موسى عليه السلام إلى مدين وزواجه من ابنة شيخ مدين الكبير مأجورا له مدة ثماني حجج في ست الآيات(٢٣-٢٨) ، واختزلتها سورة الشعراء في الجملة الأولى من الآية(٢١) في قوله تعالى:﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.واختزل الجزء الثاني من الآية نفسها حادثة لقاء موسى عليه السلام بربه بجانب الطور، وما وهبه من آيات الواردة في سورة القصص(٢٩-٣٢).وهذه الاختزالات عندما نوازنها بقصة سورة الشعراء، لا نعني بها نصوصها، بل نريد منها أزمانها التاريخية وما استغرقه. فنحن لا نوازن نصا بنص ،بل نوازن نصا بالواقع التاريخي.

ويبدو مما تقدم أن سورة الشعراء قد بدأت بقصة موسى عليه السلام من حيث ما انتهت إليه سورة القصص في آيتها الثانية والثلاثين من قوله تعالى:﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

وقد ظهر حذف كثير وكبير في قصص الأنبياء الأخر الواردة في سورة الشعراء، وهذا دليل على أن هذه القصص موظفة توظيفا خاصا، لخدمة فكرة واحدة تصور مجتمعات الأنبياء المذكورين ومواجهتهم آيات الله وبراهينه في قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(الشعراء:٢١)، التي تتكرر ثماني مرات لتسلية النبي محمد صلى الله عليه وآله ، ولفتا لنظر المؤمنين بأنهم قلة دائما، وأنهم هم الغالبون في نهاية المطاف، لذلك نجد بنية هذه القصص تعتمد على الزمن الداخلي الوجداني، إذ ينقل السرد واقعا مكثفا زمنيا تطوى فيه أحداث كثيرة لتخلص إلى تصوير حال نزاعية تتحول إلى فاجعة مؤلمة نوعا ما.

ولذلك ظهر عنصر التسريع في هذه القصص قويا، ووظيفته تكثيف السرد لكي لا ينسى المتلقي ربط كل قصة بفكرة السورة الرئيسة، وذلك أمر سائد في القرآن الكريم، فكثيرا ما تساق القصص من انتقاء مجوعة من الأحداث والشخصيات والمواقف تنتخب بشكل يتسق وطبيعة الأفكار المعنية فيها[٤١]،لذلك يمكن أن تختزل القصة القرآنية أظهر عناصر القصة المعروفة ومنها الشخصية مثلا،وذلك في قوله

تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾(البقرة:٢٤٥-٢٤٦).ترى من هذا النبي الذي لم تذكر القصة اسمه؟ بل لم ترسم لنا بعض ملامح شخصيته.ومن الزاوية الفنية ينبغي أن نشير إلى أن السبب في ذلك عائد إلى أن القصة ليست معنية بشخصية النبي الإسرائيلي حتى تذكر اسمه، لأنها كانت معنية بتعريف السلوك الشائن لبني إسرائيل مع أنبيائهم، وقد أذلهم الله تعالى على أيدي طواغيت مثلهم(٤٢).

ونخلص مما تقدم أن القصص الواردة في سورة الشعراء لم تكن قائمة في ذاتها ،بل موظفة لخدمة غرض السورة الكريمة، لذلك استعملت فيها تقنية الحذف والإجمال لتسريع الأحداث وإسباغ الإيقاع الدرامي باستعمال الجمل القصيرة، والى ذلك أشار أحد المفسرين بقوله:((إن هذه السورة تعدّ أكبر السور بعد سورة البقرة، من حيث عدد الآيات، وإن كانت ليست كذلك من حيث عدد الكلمات، بل هي أقصر من كثير من السور))(٤٣).

ثانيا ـ إبطاء السرد:

لاحظنا أن تقنية التسريع في القصص الواردة في قصص سورة الشعراء أخذت حيزا كبيرا بالنسبة إلى ما يخالفها من تقنيات الديمومة: الإبطاء أو التساوي، ولكن هذا لا يمنع من استعمال تقنية الإبطاء ،ولا تعارض بينهما إذا استعمل الإبطاء جنبا إلى جنب التسريع في المكان الذي يؤدي غرضا فنيا.

ويحصل إبطاء السرد في الوقفة Pause التي تحصل عند المرور من سرد الأحداث إلى الوصف الذي ينتج مقطعا من النص القصصي ديمومته = صفر، أي(زح= صفر)(٤٤)، وإذا لم يحصل وقف تام تكون النسبة (زق< زح).

ويرى جنيت أنه من غير الممكن العثور على نص سردي من دون وصف، مهما كان طابعة الإخباري انتقائيا، ذلك أننا يمكن أن نصف من دون أن نسرد، ولا يصح خلاف ذلك(٤٥).

وقد ورد الوصف في قصة موسى عليه السلام بجرعات قليلة في قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾(الشعراء:٥٤-٥٦). في وصف فرعون لبني إسرائيل، إذ يصبح من المناسب توفير معلومات عن النطاق الذي ستدور فيه الأحداث، موحيا بسهولة تحقيق النصر الحاسم، لزيادة تحريض الجيش، بهذا يتضافر الوصف والسرد في شد العمل القصصي وذلك يعني أن هذا الوصف لم يسهم في إيقاف السرد، بل أسهم في إبطائه قليلا، وقد ساعد على تقليل الإبطاء قصر الجملة الوصفية التي ترد في مكان آخر في قوله تعالى:﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي

إِسْرَائِيلَ﴾(الشعراء:٥٧-٥٩). ثم تستأنف الأحداث ونلاحظ أن الوصف أسهم في السرد من المفارقة التي أدت إلى انتصار القليل، وهذه الوظيفة رمزية تولد لدى القارئ إدراكا لعمق المأساة التي أصابت قوم فرعون لأنهم لم يؤمنوا بالله تعالى.

وكذلك أدى وصف انفلاق البحر في قوله تعالى:﴿ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾(الشعراء:٦٣)، وظيفة رمزية تدرك بها عظم الأحداث على الظالمين وهي تصوير عظمة الخالق في الوقت نفسه، وربما أوحى الوصف بتحديد عظم الجيش الفرعوني الذي يحتاج إلى عظمة إلهية كبيرة لإغراقه من حيث نجا موسى وقومه من بين هذه الجبال المائية.

إنّ هذه الجرعات الوصفية الصغيرة أدت وظائف تفسيرية للمتلقي توحي بدلالات شتى، اندمجت في زمن القصة بمجرد أن تم التبئير[٤٦] على الشيء الموصوف تبئيرا سريعا، وبجمل قصيرة لم تؤثر تأثيرا كبيرا في أسلوب التسريع الذي اشرنا بأنه السمة الغالبة على قصص سورة الشعراء. وقد جاءت الوقفات القصيرة في نهاية القصة،لأداء أغراض دلالية بعد تمام ذروة القصة عند نقطة حسم الصراع إلى جانب موسى عليه السلام ،وسطوع حجته، فأصبح النزال أشبه بصورة مكررة لتحقيق غلبة أخرى بالأداة نفسها التي غلب بها موسى عليه السلام خصمه. وهذا التكرار يصلح أن يكون حيزا لتخلل الوقفات الوصفية لتعميق المفارقة التي تعدّ شحنات وعظية تريد القصة إيصالها إلى المتلقي.فكان للإبطاء اليسير مسوغه الجمالي والدلالي، ولذلك قال جنيت:إن الوصف أو الوقفة تسهم في تبطئة السرد ولكن ليس دائما[٤٧]. وهذا ما نجده في قصص القرآن الكريم ولاسيما التي وردت لأداء وظائف نصية خارج ذاتها.

وقد لا يؤدي الوصف إلى أي توقف للحكاية أو أي إبطاء، إذا طابق وقفة تأمل لدى شخصية تبين لنا مشاعرها وانطباعاتها بين يدي مشهد ما. وهذا ما يسمى بالوصف الذاتي[٤٨]، الذي نجده في قصة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى:﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * . . . إلى قوله تعالى:وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾(الشعراء:٧٥-٨٠)، الذي سنتناول دراسته في المشهد القصصي.

ثالثا ـ تعادل زمن الحكاية(الحادثة) وزمن القراءة(القصة):

يحصل هذا التعادل جليا في الحوار الذي يسميه جنيت بالمشهد وفيه يقترب حجم النص القصصي من زمن الحكاية(زق=زح)(٤٩). والمشهد أو الحوار يعطي تعارضا في المضمون بين الدرامي وغير الدرامي في القصة. فالدرامي فعل يتطابق فيه زمن الحكاية مع زمن القصة، وقد يدخل فيه شيء من الوصف الذاتي والمناجاة النفسية(٥٠). وكل هذه الأمور بعيدة عن المقاييس المعتادة للزمنية المشهدية، بل عن كلّ زمنية سردية(٥١)،لأنها تدخل في حيز الفن الدرامي وقد يستعار في القصة لإسباغ عنصر الدراما عليها، بحسب ما نرى في المبحث الثاني.

ولما كانت القصص الواردة في سورة الشعراء قد كثر فيها أسلوب تسريع السرد، لكثرة الحذف والإجمال بالتركيز على الأساس الدال وترك الثانوي، فإن هناك أحداثا مهمة تحتاج إلى تضخيم نصي يقترب فيه حجم النص القصصي من زمن الحكاية ويطابقه في بعض الأحايين.وذلك باستعمال الحوار وإيراد جزئيات الحركة والخطاب(٥٢).

وبإحصاء الألفاظ الدالة على ظهور المشهد من الأفعال:(نادى، وأوحى،وقال) نحصل على المعطيات المدرجة في الجدول الآتي:

القصة	الفعل قال	الفعل نادى	الفعل أوحى	المجموع	عدد الآيات	النسبة
موسى	٢٥	١	٢	٢٨	٥٦	%٥٠
إبراهيم	٧	–	–	٧	٣٣	%٢١
نوح	٥	–	–	٥	١٦	%٣١
هود	٢	–	–	٢	١٧	%١٢
صالح	٣	–	–	٣	١٨	%١٧
لوط	٣	–	–	٣	١٤	%٢١
شعيب	٣	–	–	٣	١٤	%٢١

نلاحظ أن أكبر نسبة للمشهد الحواري وردت في قصة موسى عليه السلام .وهذا يدل على أن الصبغة الدرامية أخذت حيزا فيها بلغ النصف. وكان من المفروض أن تبلغ النسبة المشهدية في قصة إبراهيم عليه السلام هذه النسبة أو تزيد عليها؛لأننا نشعر أنها أكثر درامية من جميع القصص الواردة في السورة الكريمة.

ولهذا يمكن تعديل هذه النسبة بإضافة العناصر المشهدية غير الحوارية، وهي: الوصف الذاتي والمناجاة، ونطرح آياتها من مدخلات تحصيل النسبة، إذ أخذ الوصف الذاتي حيزا كبيرا في الآيات(٧٥-٨٢)، وأخذت المناجاة حيزا في الآيات(٨٣-٨٩)، فيكون مجموع الآيات الكريمات المشغولات بالعناصر

الدرامية غير الحوارية بشكل ثنائي(دايلوج) هو:(١٤) آية، نطرحها من(٣٣) آيات القصة لنحصل على(١٩) آية، لتكون النسبة الدرامية في القصة ٣٧%، وهذه نسبة قليلة إذا قارناها بقصة نوح عليه السلام ٣١%.

لكننا يمكن زيادة النسبة الدرامية بتقدير الفعل(قال) في الآيات (٧٩-١٠٢)،لأنها لا تمثل قولا واحدا بدليل قوله تعالى:﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ *تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ *فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ولذلك نتصور أن عبدة الأصنام عند اختصامهم في جهنم سينقسمون على مجموعات:

الأولى تقول: تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ،إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ

والثانية تقول: وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ

والثالثة تقول: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ

والرابعة تقول: وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ

والخامسة تقول: فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وهذه ستة أقوال يمكن إضافتها ليصبح مجموع الفعل(قال)(١٣)،وبتقسيمه على عدد الآيات(١٩)المتبقية، نحصل على نسبة ٦٨%. وهي نسبة كبيرة تلائم التحولات الدرامية الواردة في القصة في استحضار مشاهد يوم القيامة وتصوير صراعات الكفار فيها التي تسلط الضوء على مشاعر الندم والحسرة، إذ تتبدل أحوالهم سريعا من العناد والكفر والاستهزاء بالأنبياء والكتب السماوية إلى خلاف ذلك .فهي لحظة مكثفة في وعي الشخصيات تختزل حياتهم كلها.

إن التركيز الدرامي يبدأ في ذروته في قصة إبراهيم عليه السلام ثم تليها قصة موسى عليه السلام، ثم يبدأ بالنزول التدريجي إلى ٣١% في قصة نوح، حتى يصل إلى أدنى نسبة له في القصص التي تليها فاسحا المجال لتقنيات الزمن الأخرى أن تعمل ولاسيما تقنية التسريع ليكون إيقاع السورة كلها متسارعا، ولاسيما مع النزول التدريجي في عدد الآيات وذلك يسبغ عنصر الإيقاع الدرامي على السورة كلها.

أمّا الوصف المشهدي الذي ورد في قصة إبراهيم عليه السلام ،والذي لا يوقف السرد أو يبطئه فيظهر في وقفة تأمل النبي عليه السلام لتبيان مشاعره وانطباعاته بين يدي المشهد الذي يظهر في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ *فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ *الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . . . حتى قوله

تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء:٧٥-٨٠).

التفت أحد المفسرين إلى بلاغة هذا المقطع وبيّن أنه يمثل مشهد تأمل شخصي يفيد التعريض،قال:((فإنهم عدو لي، إلا رب العالمين، فإنه صوّر المسألة في نفسه والعداوة مستهدفة شخصه، كأنه يعرض بهم قائلا: لقد فكرت في المسألة مليا، وأمعنت النظر فيها طويلا، فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو، الذي يتربص به الدوائر للإيقاع... وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح، لأنه يلفت انتباهه، يسترعي أنظاره،فيتأمل فيه، فربما قاده التأمل إلى التقبّل))[٥٣].

فالوصف هنا وصف ذاتي تأملي، وهو أقرب إلى ما يسميه جنيت بالمشهد[٥٤]، وكذلك ورد السرد الذاتي Narration Simulate في الدعاء في قصة ابر هيم عليه السلام في الآيات(٨٣-٨٨) في ست آيات، ذلك أن الدعاء يرد في صيغة الحاضر لزمن الحكاية، أي أن أحداث الحكاية وعملية السرد تدور في وقت واحد حتى يتطابق الزمانان.

ومن أجمل المشاهد السردية التي وردت في هذه القصة حوار الكفرة الذين كبكبوا في جهنم واخذوا يختصمون في الآيات(٩٦-١٠٢) في نهاية القصة، إذ ورد المشهد بأسلوب السرد السينمائي الذي يقدم الأشياء على حالها في كينونتها المرئية مع الإقلال قدر الإمكان من ردود الفعل العاطفية تجاهها ليحقق المسافة الجمالية التي تفصل الفن عن الواقع، إذ تندمج الأزمنة كلها في لحظة واحدة تقدم في صورة آنية الحضور[٥٥].فالكفرة في وضعهم الحالي يرون أنفسهم في (ضلال مبين) ويندمون على ماضيهم(وما أضلنا إلا المجرمون)، ويتمنون أن يكون لهم مستقبل جديد(فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين). فهذا مشهد من ناحية زمن السرد يكون مساويا لزمن الحكاية، ولكن أسلوب تقديمه جاء بالصورة السينمائية.

ومن ملاحظة نسب التساوي المشهدية لزمن الخطاب القصصي الوارد في سورة الشعراء يمكن ملاحظة إيقاع هذا الزمن في المخطط البياني الآتي:

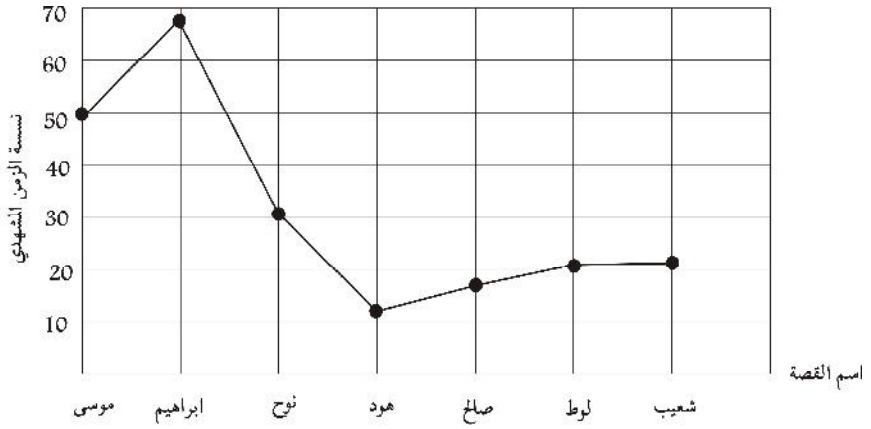

ولعل النسبة العالية تفسر زيادة المشهد الحواري في الصراعات العقائدية في القصص الثلاث الأول:(موسى، وإبراهيم، ونوح) التي تحتاج إلى مساحة مشهدية كبيرة لإقامة الحجج والرد عليها بأسلوب

غير استفزازي وقد سماه ابن الأثير(ت٦٢٧هـ) بأسلوب الاستدراج ووصفه بانه يتضمن((مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال،والكلام فيه وإن تضمن بلاغة، فليس الغرض ها هنا بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم،... والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيرا في خلابه، لا قصيرا في خطابه))[٥٦].

ولذلك قلّت نسب المشهد ـ بتفاوت قليل ـ، في الصراع الدائر حول الانحرافات الأخلاقية والاجتماعية وإن تضمنت القصص الباقية الصراع العقائدي، بل أنه لم يكن موضوعا للحوار والجدل.

وتحققت أكبر نسبة مشهدية في قصة موسى وإبراهيم عليهما السلام ، لأنهما كانتا خالصتين للصراع العقائدي، الذي يحتاج مساحة مشهدية كبيرة للإقناع والتأثير،وفيهما وسّع طرفا الصراع هذه المساحة.وهذا الأمر يسبغ الشكل الممسرح للسرد، ذلك أننا في السرد المشهدي لا نتلقى الأفعال أفعالا محكية، بل كما لو كانت تتخلق أمامنا على خشبة، فتقطع القصة صلتها بالشكل الحكائي، وتغدو مزيجا من الحوارات المشهدية والإشارات المفصلة التي تقوم بالتعليق،إذ تصبح الأحداث أساسية ومهمة وبارزة حتى تكاد تكون هي البطل نفسه[٥٧].

في حين لم يفسح طرفا الصراع في القصص الأخر المجال للصراع العقائدي،حتى تستطيع الحكم بأن الأطراف المتنازعة مع الأنبياء عليهم السلام هم أقوام غير متحضرين،ولذلك قدمت ألفاظ تكذيب الأنبياء على هذه القصص، فتقلص الحوار المبني على التوتر الفكري والعاطفي،الذي تتطور فيه الشخصيات، ليسود عنصر الصراع الجسدي المادي. وبهذا يمكن تفسير أقل نسبة في المشهد الحواري في قصة هود عليه السلام ،إذ وردت إشارة تشير إلى أن من الانحرافات السلوكية لقوم هود التجبّر والبطش، فضلا عن الكفر ،وذلك ما ورد في قوله تعالى:﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾(الشعراء:١٣٠)،في حين كان تهديد المكذبين في القصص الأخر: الرجم في قصة نوح عليه السلام ،والاستخفاف بالآية التي جاء بها صالح عليه السلام للدلالة على نبوته،وهي الناقة،فعقروها.والإخراج في قصة لوط عليه السلام إلى غير ذلك. وهي تهديدات ربما كانت أخف من البطش وهو أخذ الشيء بقهر وغلبة وقوة. وقد صوّر البطش بأنه سلوك، أو أسلوب حياة لقوم هود عليه السلام ، في حين أن تهديدات الأقوام الأخرى كانت أفعالا كلامية أو فعلا غير موجه إلى النبي مباشرة.

وإذا كان المخطط يوضح صورة لبيان نسب تساوي زمن الخطاب القصصي موازنة بزمن الحكاية، فإن انعكاسه المرآتي سيعطينا تصورا لسرعة القص التي تبدأ من قصة موسى عليه السلام فتقل قليلا في قصة إبراهيم عليه السلام ، ثم تصبح القصة التالية لها أسرع فأسرع، ثم تتقارب سرع القص حتى تنتهي إلى التساوي في القصتين الأخيرتين. وهذا الثبات الذي يأتي في نهاية القصص ينسجم مع نهاية السورة الكريمة،وهي تكملة لمقدمتها لتتخلى نهاية السورة عن هذه التقنية،لأنها لا تمثل قصة بالمعنى الفني، بل هي أحداث

تاريخية لم تكتمل بعد.

وتتبين سرعة القص في الانعكاس المرآتي بالقياس إلى السرعة الحالية،في المخطط الآتي:

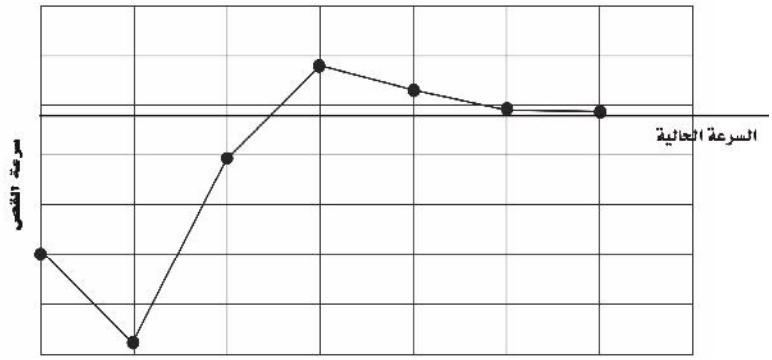

الانعكاس المرآتي الذي يوضح سرعة القص

وخلاصة القول إن بنية الزمن في قصص سورة الشعراء قد خضعت لإعادة تشكيل فني من تحويل الزمن التاريخي إلى خلق جمالي/دلالي جديد، عن طريق تنظيم الزمن بتقنيات أدت أغراضا نصية منها: ضبط القصة بحدود تصويرية،وتوفير عنصر الاقتصاد،وكل ذلك أدى إلى تماسك القصص الواردة في السورة الكريمة وربطها بالجو العام للنص.أما من ناحية التلقي فقد أدت تقنيات الزمن إلى إثارة القارئ وتشويقه للوصول إلى مآل الأحداث وكشف عن علاقات الوجود الإنساني في موقف مشحون بالصراع، ومن ذلك يُتقبّل المتخيل،ليكون عند المتلقي أبلغ من الحقيقة.

الخاتمة:

تتضح ثمرة استعمال الأسلوبية من خلال التفسير العلمي الذي يتوخى الدقة في الملاحظة والإحصاء والحياد الموضوعي في تقويم النتائج،وقد ظهر ذلك في ما يأتي:

ـ سبقت القصة القرآنية،الرواية الواقعية العربية حتى نهاية الخمسينات من القرن الماضي، باستعمال تقنيات الزمن الأسلوبية.وهذا دليل على السر الإعجازي لقصص القرآن الكريم، بالسبق بأكثر من ألف وأربعمائة عاما، فضلا عن دقة أسرار توظيف هذه الأساليب في خدمة النص.

ـ كشفت دراسة تقنيات الزمن في قصص السورة الكريمة أن تقنيات الزمن قد نظمت سرعة القص بحيث يتفق وسرعة النص القرآني الذي وظفت فيه،ويعد هذا الكشف ملمحا اعجازيا جديدا مازال لم تدرس القصة القرآنية بوصفها بنية صغرى Micro Structure، وظفت ضمن سياق البنية الكبرى Macro Structure التي وردت فيها، أي السورة كاملة،ويعد هذا الكشف عنصرا مهما لا يمكن تجاوزه عند مباشرة النص الأدبي إنتاجا وتلقيا. وربما يكشف هذا الأمر عن وجود اختلاف في توظيف القصة بين السور المكية والمدنية، إذا ما تسنى لباحث آخر الموازنة.

ـ كشف التحليل الأسلوبي للقصص الواردة في السورة الكريمة أن بنية الزمن قد عملت على إعادة

تشكيل فني لحكايات الأنبياء التاريخية، بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير وغيرها من تحويلات زمنية حوّلت الزمن التاريخي إلى خلق جمالي جديد، عن طريق تنظيمه بتقنيات أدت أغراضا بلاغية أظهرها ضبط القصة بحدود تصويرية كيّفت القصص للتماسك مع الجو العام للنص.

ـ أدت تقنيات الزمن في قصص سورة الشعراء ـ من ناحية التلقي ـ ،إلى إثارة القارئ وتشويقه للوصول إلى مآل الأحداث وكشف علاقات الوجود الإنساني في موقف شمولي مشحون بالصراع يلائم قصدية الخطاب القرآني الذي يضع المخاطب بإزاء تجربة تخيلية تكون أكثر واقعية من الأشياء التي تمثلها، ذلك أن العمل الذي يخاطب المخيلة يؤلف عالما كاملا معروضا أمامنا يكشف الواقع بجميع ملامحه الجوهرية في بيئة مركزية، تقوم بسنٍّ عالم مستعار يستطيع أن يتقاطع مع عالم المتلقي ويحوّله.

هوامش البحث:

(١) ظ:بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل:٢٩٣

(٢) ظ: القاموس الموسوعي الجديد لعلم اللسان،أزوالد ديكرو، وجان ماري، ترجمة د. منذر عياشي:٢١١

(٣) ظ: مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا سمير المرزوقي وجميل شاكر:٧٣، بلاغة الخطاب وعلم النص،د. صلاح فضل:٣٩٩، خطاب الحكاية، جيرارد جنيت، بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم عبد الجليل الأزدي،وعمر حلي:٧٣،نظريات السرد الحديثة،والاس مارتن،ترجمة د.حياة جاسم محمد:١٣٩-١٤٠.

(٤) ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص:٣٩٩، خطاب الحكاية،بحث في المنهج:٣٩

(٥) ظ: مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٧٤

(٦) ظ: مفاهيم سردية، تزفتان تودوروف، ترجمة عبد الرحمن فريان:١١٠

(٧) ظ: بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ترجمة فريد انطونيوس:٩٧

(٨) ظ: الوجود والزمان والسرد،فلسفة بول ريكو، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي:٤٢

(٩) ظ: بحوث في الرواية الجديدة:٩٦ وما بعدها،مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٧٥، خطاب الحكاية، بحث في المنهج:٤٥ وما بعدها.

(١٠) ظ: الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله:١٥٦

(١١) ظ:مفاهيم سردية:٤٥-٤٦، الأسلوبية، جورج مولينيه، ترجمة بسام بركة:٢٤(مقدمة المترجم).

(١٢) ظ: الوجود والزمان والسرد: ٣٠-٣١

(١٣) ظ: بحوث في الرواية الجديدة:٩٨

(١٤) م ن:٧

(١٥) ظ: بحوث في الرواية الجديدة:٩٧،نظريات السرد الحديثة:٢٤٨

(١٦) ظ: بحوث في الرواية الجديدة:٩٨

(١٧) ظ: السيرة الذاتية والروائية في النصف الثاني من القرن العشرين،جولان حسين جودي،رسالة دكتوراه غير منشورة:٧٥

(١٨) سبقت القصة القرآنية باستعمال هذا الأسلوب،الرواية الواقعية حتى نهاية الخمسينات من القرن الماضي. ظ: الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، د. موريس أبو ناظر:٨٨

(١٩) المفارقات الزمنية: مصطلح عام للدلالة على كل أشكال التنافر بين الترتيبين الزمنيين: الاسترجاع وهو ذكر لاحق لحدث سابق بالنسبة للنقطة التي نحن فيها من القصة،وتعني العودة إلى الوراء. والاستباق: وهو كل حركة سردية تقوم على روي حدث لاحق أو يذكر مقدما،أي كل ما تلقيه القصة على المستقبل من مشاريع، أي عالم الإمكانات. ظ: بحوث في الراوية الجديدة: ١٠٠،مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٧٦، خطاب الحكاية ،بحث في المنهج:٥١، مفاهيم سردية:١١١

(٢٠) مدخل إلى نظرية القصة، تحليلا وتطبيقا:٧٨

(٢١) ظ: التفسير البنائي للقرآن الكريم،د. محمود البستاني:٣٣٤/٣

(٢٢) ظ: مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٧٩.

(٢٣) ظ: مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٧٩، خطاب الحكاية،بحث في المنهج:٦١-٦٢

(٢٤) ظ:م ن:٧٩،م ن:٦١-٦٢

(٢٥) ظ:مدخل إلى نظرية القصة، تحليلا وتطبيقا:٩١

(٢٦) ظ م ن:٨٦

(٢٧) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ):٤٣/١

(٢٨) ظ: علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة يوئيل عزيز:٨٩

(٢٩) خطاب الحكاية، بحث في المنهج:٦٠-٦١

(٣٠) ظ: السيرة الذاتية والروائية في النصف الثاني من القرن العشرين:٧٩

(٣١) ظ م ن:٩٦

(٣٢) ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص:٣٠٢، خطاب الحكاية ،بحث في المنهج:١٠١

(٣٣) ظ: السيرة الذاتية والروائية في النصف الثاني من القرن العشرين:١٢٧

(٣٤) ظ: بحوث في الرواية الجديدة:١٠١،مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٨٥، بلاغة الخطاب وعلم النص:٣٠٢، خطاب الحكاية، بحث في المنهج:١٠١

(٣٥) (ز ج): مختصر لزمن الحكاية أو زمن المغامرة، و(ز ق): مختصر لزمن القص ،أو زمن القراءة.ظ: بحوث في الرواية الجديدة:١٠١،بلاغة الخطاب وعلم النص:٣٠٢

(٣٦) ظ: بحوث في الرواية الجديدة:١٠١

(٣٧) ظ:مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٨٥-٨٦، بلاغة الخطاب وعلم النص:٣٠٢، خطاب الحكاية ،بحث في المنهج:١٠٩

(٣٨) ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص:٣٠٢

(٣٩) الكشاف:٣٠٦/٣

(٤٠) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي:٢٤٣

(٤١) ظ:التعبير الفني في القرآن،د. بكري شيخ أمين:٢١٤، قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، د. محمود البستاني:٤٣/١

(٤٢)ظ: قصص القرآن، دلاليا وجماليا:٤٤/١

(٤٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٢١٦/١١

(٤٤) ظ: مدخل إلى نظرية القصة تحيلا وتطبيقا:٨٦، بلاغة الخطاب وعلم النص:٢٠٢، خطاب الحكاية، بحث في المنهج:١١٢

(٤٥) ظ: خطاب الحكاية، بحث في المنهج:١١٢

(٤٦) ظ: التبئير:مصطلح يعبر عن تقنية قصصية لابد منها،ويسمى أيضا الصيغة، وتعنى بالشخصيات التي توجه السرد على وفق رؤيتها الخاصة، أي أن القصة تروى من وجهة نظر شخصية تدرك الأحداث المروية من خلالها.ظ:خطاب الحكاية، بحث في المنهج:٢٦ ،عودة إلى خطاب الحكاية، جيرار جنيت، ترجمة محمد معتصم:٤٢٠، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان:٦٣٥، و٦٣٨

(٤٧) ظ: خطاب الحكاية، بحث في المنهج:١١٢

(٤٨) ظ: مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٨٦-٨٧

(٤٩) ظ: بحوث في الرواية الجديدة:١٠٢،مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٨٦، بلاغة الخطاب وعلم النص:٢٠٢، خطاب الحكاية، بحث في المنهج:١١٢

(٥٠) المناجاة النفسية:طريقة للسرد يلتزمها بعض كتاب الرواية في الكشف عما يدور في نفوس شخوصهم بعيدا عن تقديم الحدث أو الحوار الملفوظ محاكاة لتطور الأفكار في الذهن.ظ:معجم مصطلحات الأدب،مجدي وهبة:٢٥٦

(٥١)ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص:٣٠٤، خطاب الحكاية، بحث في المنهج:١١٩-١٢٢

(٥٢) ظ: بحوث في الرواية الجديدة:١٠٢،مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٨٩

(٥٣) إعراب القرآن وبيانه:٤١٨/١٩

(٥٤) ظ: مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا:٨٨، خطاب الحكاية، بحث في المنهج:١١٩-١٢٢

(٥٥) ظ: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد،محمد سالم محمد الأمين الطلبة:٧٨-٧٩

(٥٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ):٢٦٠/٢

(٥٧) ظ: الجبل الصغير،بطولة الأمكنة والجماعات، فخري صالح، في المهد"مجلة الثقافة والفنون"، دار المهد للنشر والتوزيع، العدد(٢) السنة الأولى،١٩٨٤م:٧٦-٧٧.

المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم .

١ـ المصادر والمراجع العربية:

١. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سوريا،ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٢. الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، د. موريس أبو ناظر، دار النهار للنشر،بيروت، ١٩٧٩م.
٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
٤. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة، الكويت،(صفر ١٤١٣هـ/آب ١٩٩٢م).
٥. التعبير الفني في القرآن،د. بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١،(١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
٦. التفسير البنائي للقرآن الكريم،د. محمود البستاني،مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة ط١(١٤٢٣ق./١٣٨١ش).
٧. الجبل الصغير، بطولة الأمكنة والجماعات،فخري صالح، ضمن المهد"مجلة الثقافة والفنون"، دار المهد للنشر والتوزيع، العدد(٢) السنة الأولى،١٩٨٤م.
٨. دراسات فنية في قصص القرآن ،د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية،مشهد،إيران، ط١(١٤٠٨هـ).
٩. السيرة الذاتية والروائية في النصف الثاني من القرن العشرين رسالة دكتوراه، جولان حسين جودي، كلية التربية للبنات ـ جامعة الكوفة،(١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
١٠. الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، يليه عرض وتحليل خليل عبد الكريم، مؤسسة الانتشار العربي، ط٤، ١٩٩٩م.
١١. قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، د. محمود البستاني، مؤسسة السبطين العالمية، ط١(١٤٢٥هـق/١٣٨٣هش).
١٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين بن الأثير(ت٦٣٨هـ)،قدمه وحققه وعلق عليه د.أحمد الحوفي،د.بدوي طبانة،مكتبة نهضة مصر،ط١(١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).

١٣. مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا،سمير المرزوقي، وجميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد، ١٩٨٦م.
١٤. مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر،دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد، محمد سالم محمد الأمين الطلبة،انتشار العربي،بيروت،لبنان،ط١، ٢٠٠٨م.
١٥. معجم مصطلحات الأدب،مجدي وهبة،بيروت،لبنان،١٩٧٤م.
١٦. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر،ط١(١٣٧٨ق.ش).

٢- المراجع الأجنبية المترجمة:

١. الأسلوبية، جورج مولينيه، ترجمة د. بسام بركة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ،ط٢(١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
٢. بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ترجمة فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧١م.
٣. خطاب الحكاية، جيرارد جنيت،بحث في المنهج،ترجمة محمد معتصم عبد الجليل الأزدي،وعمر حلي،المجلس الأعلى للثقافة،المشروع القومي للترجمةط٢، ١٩٩٧م.
٤. علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة، د. يوئيل عزيز، مراجعة النص العربي، د. مالك المطلبي، بيت الموصل،١٩٨٨م.
٥. عودة إلى خطاب الحكاية، جيرار جنيت، ترجمة محمد معتصم، تقديم د. سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.
٦. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكرو وجان ماري،ترجمة د. منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط٢، ٢٠٠٧م.
٧. مفاهيم سردية، تزفطان تودوروف، ترجمة عبد الرحمن فريان، منشورات الاختلاف،ط١، ٢٠٠٥م.
٨. نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن، ترجمة د. حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة (١٩٩٨م).
٩. الوجود والزمان والسرد،فلسفة بول ريكور،ترجمة وتقديم سعيد الغانمي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط١، ١٩٩٩م.

خلاصة البحث:

ميز البحث الفرق بين الحكاية بوصفها مدلولا للقصة، بوصفها دالا متفردا. وقد أدى هذا التمييز النظري إلى تمييز أساليب الزمن في قصص سورة الشعراء، من ناحيتين:الأولى: من ناحية اختلاف في ترتيب الزمن نتيجة للتقديم في الأحداث وتأخيرها.والأخرى:من ناحية تفاوت الزمنين بنقصان زمن القصة عن زمن الحكاية نتيجة الحذف، أو تساويه نتيجة مسرحة الحدث، أو زيادته نتيجة لإضافة الوصف، فينتج عن ذلك إما تسريع السرد أو تساويه أو إبطائه.

وقد اتضحت ثمرة استعمال الأسلوبية من خلال التفسير العلمي الذي يتوخى الدقة في الملاحظة والإحصاء والحياد الموضوعي في تقويم النتائج،وقد ظهر ذلك في أن تقنيات الزمن قد نظمت سرعة القص بحيث يتفق وسرعة النص القرآني الذي وظفت فيه،ويعد هذا الكشف ملمحا اعجازيا جديدا،وعنصرا مهما لا يمكن تجاوزه عند مباشرة النص الأدبي إنتاجا وتلقيا. إذ لوحظت أن بنية الزمن قد عملت على إعادة تشكيل فني لحكايات الأنبياء التاريخية، بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير وغيرها من تحويلات زمنية حوّلت الزمن التاريخي إلى خلق جمالي جديد، عن طريق تنظيمه بتقنيات أدت أغراضا بلاغية أظهرها ضبط القصة بحدود تصويرية كيّفت القصص للتماسك مع الجو العام للنص.

Summary:

The search is dedicated to the study to the study of(story techniques in Al-Sura) because it contains seven stories which are used /in an artistic way to support the main meaning of Al-Sura.

The main construction of the research is revealing the Stylistic analysis of the mentioned stories in Al-Sura in which the time structure reconstructed the historical tales of the prophets through advancement ,delaying, omitting and adding which created an aesthetic new aspect that appeals to the receiver.